البناء
يومية سياسية قومية اجتماعية
العدد:2586 تاريخ:18/04/2018

نقاط على الحروف

عماد مغنية: فلسفة الحرب

فبراير 13, 2018 نقاط على الحروف تكبير الخط + | تصغير الخط -

ناصر قنديل

– لم يكن أبرز قيادي تجربة المقاومة في لبنان على المستوى العسكري من الضباط السابقين في أحد الجيوش والتحق بصفوف المقاومة ناقلاً علمه وخبرته، ولا قيادياً في تنظيم من التنظيمات الفلسطينية التي عايشها وتفاعل معها في ربعان الشباب قبل بدء تأسيس المقاومة في لبنان، فهو تفرّغ لهذه المهمة وقد بلغ العشرين فقط، ليتهل من الكتب علومه ومن العقل النقدي الذي تميّز به مقارنة التجارب والمعطيات وانتقاء الأمثل والأنسب منها، ومن عبقريته وتحفزه لإنجاز نوعي يثق أنه ممكن، ليبتكر ويصنع ويطوّر، حتى تبلورت رؤيته العسكرية الأفرب لمدرسة في الاستراتيجية لها ركائز وقواعد، وليست مجرد تراكم لبطولات فردية، أو لابتكار تكتيكات فعاله في المعارك المنفصلة، أو تحديث لأنواع من السلاح لتجعله أشدّ تأثيراً وفعالية، وقد نجح عماد مغنية بفعل ذلك كله.

– نتحدّث هنا عما يتخطّى الإيمان بفلسطين كعنوان للمعركة، وما يتجاوز اليقين بالنصر، وما يستند لليقين بقوة أن إيران الإمام الخميني وإيران السيد الخامنئي لن تتخلّى عن خيار المقاومة ودعمه بكل ما هو متاح، كما نتحدّث عن شيء آخر، غير الابتعاد عن الهموم الجانبية والاهتمامات الثانوية كلها، التي تصرف الأحزاب المقاومة عن مهمتها وتستنزف مقدراتها وتأكل هيبتها، كالدخول في منازعات مع مَن يُفترَض أنهم في الصف نفسه على عناوين التكتيك أو التسويات في منتصف الطريق، أو الغنى العقائدية والطائفية والمذهبية، أو التطلع لممارسة السلطة والنفوذ، لتكون هناك بوصلة واحدة وعدو واحد، وهذه كلها من ثوابت الشهيد القائد، بمثل ما هي من ثوابت المقاومة وحربها الأهم، حرب الله.

– الركيزة الرئيسية في فلسفة الحرب التي صاغها الحاج عماد للمقاومة في لبنان وفلسطين والمنطقة، تقوم على أولوية سلاح رباعي، قوامه العيون والصواريخ والأنفاق وشبكات الاتصال السلكية، ولكل منها علوم ومنتجات، يجب على المقاومة أن تتقن العلوم وأن توطّن تقنياتها، وأن تمتلك كل معدات مبحاثها، بأوفر كميات متاحة، وتتعلم كيف تصنّعها، بكل مراحل خطوط الإنتاج، ولكل مستويات التقنية وأعلاها، وتبقى تراكم منها وتحزّن ما يصل لأيديها، وفقاً لقواعد العلم وشروط الأمان وتسهيل قدرة الاستخدام، فتفرّغ شخصاً ليتقن علوم العيون والصواريخ والأنفاق والشبكات السلكية، بدءاً من أبسطها، النفق والعيون والصاروخ والشبكة السلكية، نفق يُحفَر بالمعول كما في تلال جبل صافي، وصاروخ كاتيوشا بصنع معادله الردع الأولى في نفاهم نيسان 96، وعيون تصنّع يدوياً تستهدف أرتال الآليات «الإسرائيلية»، أو يفتح بها استشهادي ممرّ الحاكم العسكري «الإسرائيلي» في صور أو ممرّ المارينز في بيروت، وشبكة سلكية بسيطة كسنترال مكتب شخصي تربط غرف العمليات في جبل صافي بالصاحبة والبقاع، ويصعد بها إلى أعلى السلم، ساعياً لبلوغ في طموحه مشروع نفق بشبة مدينة تستعدّ لحرب نووية، يؤمن دورة عمليات المقاومة ويربط مناطقها، وتتحرّك فيه آلياتها وتُحزّن صواريخها، وتتحرّك للإطلاق منها وتعود إليها، وتربط مناطق عمل المقاومة إذا تيسّر لها من طهران لدمشق فبيروت فالجنوب فغزة، والجليل – وما أدراك ما الجليل؟ – وعيون تنسف أسطورة النفوق التي صنعتها المبركافا، ومثلها تنسف بأطنان من المتفجرات مسار رتل مشاة عسكري وآلي محمول، وشبكات سلكية معقّدة كسنترال نيويورك، كما كان يقول، تسقط النفوق النفي الأميركي «الإسرائيلي» في علوم التنصّت، وتمتدّ إلى حيث يمكن لأيدي المقاومين أن تصل.

– الركيزة الثانية لاستراتيجية الحاج عماد العسكرية، كانت الإعداد لجيش شبه نظامي، يجمع بين مقدرات جيش نظامي في سلاح الصواريخ، والشبكة السلكية وبناء الأنفاق، وقواعد حرب العصابات في قتال العيون، جيش بضع ربع مليون بين متفرّغ مقاتل محترف، وقوة يمكن ضمّها في الحروب الكبرى، يكون جاهزاً لفلسطين، بعد تحرير الجنوب، ومثله في فلسطين بلافته في حرب المناورله الكبرى، ومثلهما حيث تيسّر ذلك في سورية والعراق وإيران واليمن وسواها.

– الركيزة الثالثة، هي التفكير في التحديات دائماً كفرص، وليس القصد سياسياً أو استراتيجياً هنا فقط، بل عسكرياً بالأساس؟ فكيف بصير النفوق الباري «الإسرائيلي» فرصة؟ وكيف بصير النفرد الجوي «الإسرائيلي» فرصة؟ وكيف نصير قدرة الحركة البرية النوعية لـ«الإسرائيليين» وتصير المبركافا فرصة؟ وكيف يتحوّل القيد الذي تفرضه العلاقات الدولية على القاعدة التي تمتلها سورية للمقاومة فرصة؟ وكيف نصير الحلفية الأخوانية للقوة الإسلامية الأهم في فلسطين التي تمتلها حركة حماس، من مصدر قلق ونحزٍ بمشاريع الفتن المذهبية، فرصاً؟

– تدمير دبابة ميركافا كمثل إسقاط طائرة إف16، كمثل الصبر على قدرة النار في أنفاق المقاومين لمفاجأة جيوش المشاة، كانت الأهداف التي تترجم هذه الرؤيا، التي تحوّلت خطوات عملياتية اشتغل عليها الحاج عماد نهاراً وليلاً وترجم بعضاً منها في حياته، وبواصل ترجمتها رفاق دربه وحلفاء مقاومته بعد استشهاده، ومثلها كيف تتحوّل علاقات سورية الدولية مصدراً لسلاح جديد، ومقدرات أهم للمقاومة، وخزاناً خلفياً لسلاحها، وكيف تتحول العلاقة بحماس مصدراً لاستنهاض عابر للمذاهب بين المسلمين مع النصر الكبير الذي يتكفّل وحده بإسقاط مخاطر الفتن، وخط اشتباك أكيد بجعل النار أقرب لجسد العدو الجاثم فوق فلسطين.

– الركيزة الرابعة في استراتيجية الحاج عماد عسكرياً كانت معنوية، كيف بصير ما بحسبه العدو علينا في الخسائر أرباحاً؟ وكيف بصير ما بحسبه لنفسه أرباحاً خسائر، وفي المقدمة تحويل الشهادة إلى مصدر قوة للمقاومة، يزيدها تماسكاً وثقة ويزيد من حماسة جمهورها وعطاءاته؟ وكيف بصير تمدّد العدو وتفرّده مدخلاً لاصطياده، وسبباً لاستنزافه، فحيث يرانا نحسر يكشف أننا نكبر، وحيث يفرح بنصره، سرعان ما يكتشف أنّه عالق في مصيدة؟

– مدرسة الحاج عماد العسكرية أنجزت التحرير ومن بعده النصر في تموز 2006، ولا زالت تنجز، ولا زال ميزان الردع الذي أسسه للمقاومة ينمو وينتج المزيد من المعادلات، ولا زالت مسيرته نحو فلسطين، مستمرّة، بمزيد من توطين تكنولوجيا الصواريخ والعيون والأنفاق والشبكات السلكية، التي لا نعلم عنها إلا ما يقوله العدو عن مصانع الصواريخ، والعيون الذكية والكورنيت والباخوت والـ«إس 300»، وما يقوله العملاء عن شبكات الاتصال التي يزعمون أنها تربط صنعاء وطهران ببيروت، وما يقوله المستوطنون عن أصوات الحفر تحت منازلهم في أنحاء عديدة من فلسطين، وعندما يأتي يوم الزحف إلى فلسطين سنتعرّف بالعين المجردة على ما لا نعلمه اليوم.

Facebook Twitter +Google Reddit Linkedin Email

al-binaa.com ©2014 Al-Binaa. All Rights Reserved.

البناء
يومية سياسية قومية اجتماعية
العدد: 2588 تاريخ: 18/04/2018

عماد مغنية كما عرفتُه وودّعتُه

فبراير 16, 2018 نقاط على الحروف تكبير الخط + | تصغير الخط -

ناصر قنديل

– لأنني عرفتُه عن قرب لثلاثين عاماً من عام 1978 إلى عام 2008 وقبل استشهاده بثلاثة شهور كان آخر لقاءاتنا، سأحجل كلامي عن علاقة القائد الشهيد الأخ الغالي والصديق الحبيب الحاج عماد مغنية شهادة أضعها بين أيديكم عن بعض من المشاهد التي تستحضرها الذاكرة من محطات السنوات الثلاثين.

– كان لقاؤنا الأول عام 78 في بيت حبيل عندما كنت أقودُ تجمّعاً لمقاتلين من عشرة تنظيمات يسارية وقومية ووطنية لا تؤمن بالحلّ السلمي والتفاوضي مع «إسرائيل» قرّرت أن تنفادى مرحلة الخلاف مع سورية بعد دخول قواتها إلى لبنان بالتوجه نحو الجنوب، حيث الوجهة الحقيقية لكلّ بندقية شريفة، كان التجمّع يحمل اسم القوات النورية المشتركة، وكنا نتخذ من مدرسة الشهيد أمين موسى سعد «الأخضر العربي» مقراً لنا وكانت يوميّاتنا موزّعة بين العمل مع الفلاحين وتنظيم دوريات الاستطلاع على الحدود وشنّ الهجمات على المليشيات العميلة لـ«إسرائيل» التي كانت تحتلّ شريطاً حدودياً بصمّ عدداً من البلدات والقرى، وكنا نحيي سهرات ثقافية حول فلسطين يحضرها شباب المنطقة، وفي إحداها كان لقائي الأول أنا إبن العشرين بعماد إبن السنة عشر ربيعاً ومحور السهرة كان ذكرى استشهاد القائد النوري العالمي أرسنو نسي غبغارا، وبعدما تحدّثت مطوّلاً عن المناسبة ومعانيها وأعلنت افتخاري بأن أكون غبغارياً وفتحتُ باب النقاش كان بين المداخلين شاب يافع عرفت لاحقاً أنه عماد مغنية، وكانت مداخلته شراكة بتقدير عظمة غبغارا، لكن السؤال فيها كان، وهل نفتقد بلادنا وشعوبنا لرموز بمستوى هذا البطل كي نستعيره لنستحدّثَ رمزاً فلمّ لا نقول نحن حسينيون، فالإمام الحسين لا يقلّ عظمة في مسيرة البطولة والشهادة عنه إن لم يَزِد، وبعدما أكدت مواقفتي على حسن وصواب ودقة ما قال هذا الشاب وشرحت الخوف من التفسيرات الطائفية والمذهبية تواعدنا وتلاقينا مراراً لنناقش معاً مساهمة شباب المنطقة في العمل المقاوم والتدريبات العسكرية التي واظبت عليها مع أصدقاء عماد حتى كان الاجتياح «الإسرائيلي» عام 1978 وقاتلناه ونفينا خلف خطوط انسحابه حتى بدأ بالانسحاب.

– لقاءات كثيرة تمّت بعد انقطاع عامين تقريباً، عندما تصادف لقائي الثاني بالشهيد عماد كمسؤول عن أمن سماحة السيد محمد حسين فضل الله رحمه الله، وكان يسمّيه سماحته عندما نتحدّث عنه، صاحبك عماد يقول، أو بفكّر أو برتّب، وكانت تلك فترة التصادم مع الثورة الإسلامية في إيران وسطوع نجم الإمام الخميني المقدّس، وفترة المواجهة مع مجاربات نظام صدام الذي كانت صحيفه «صوت الشعبية» وإذاعه «صوت الثورة العربية»، اللتان كنتُ في موقع قيادي فيهما، الرئة الإعلامية الوحيدة للوقوف مع الثورة ومواجهة مخابرات صدام، وكدنا نكون فريقاً واحداً في هذه المرحلة حتى وقوع الاجتياح «الإسرائيلي» لبيروت عام 1982.

– على جبهات منطقة الشياح وفي محور كنيسة مار مخايل تلاقينا من دون موعد منذ بدايات الحصار الذي تعرّضت له بيروت ولشهور بقينا كلّ ليلة معاً، ومعنا الشهيد علي ديب أبو حسن سلامة، ومع خروج المقاتلين الفلسطينيين من بيروت بكينا معاً، وتعاهدنا على أنّ المقاومة حيارنا، وكلمة سرّنا، فلسطين والإمام، وخلال عامين بين 82 و84 موعد انتقاله من بيروت الذي أخرجت المارينز وأسقطت انفاق السابع عشر من أيار وفتحت طريق الإمداد للمقاومة من دمشق إلى بيروت فالجنوب، كان الحاج عماد قائداً ينظّم أعمال المقاومة التي لا أعرف الكثير من تفاصيلها، سوى ما يتطلّب منه أن يستعين بعلاقاتي بسورية وبالتنظيمات الفلسطينية فيها، خصوصاً فتح الانتفاضة والجبهة الشعبية القيادة العامة، لتأمين احتياجات لوجستية لبعض هذه العمليات، وما كانوا يبخلون جميعاً من دون أن يعرفوا سوى أنّ شباباً إسلامياً خجيباً هو وجهة هذه الامكانات، ليولد القائد عماد مغنية في هذه المرحلة ومن حوله العشرات والمئات من الشباب الواثقين بصدق قيادته وصدق خياره، وبكون من ضمن الشبكة التي تشكّل منها حرب الله لاحقاً كحجر لهذه المقاومة.

– سنوات ما بعد 84 كان الحاج عماد المكسوب بفلسطين والإمام يسعى للتواصل مع كلّ مَن يمكن بشكل رافداً للمواجهة مع «إسرائيل» والمشروع الأميركي، ويطالبني بتعريفه إلى كلّ مناضلي الخط اليساري والقومي في الأردن وفلسطين والجزيرة العربية والبحرين والتواصل معهم وكانوا أصدقاء ورفاق درب في كثير من أنشطة لا أعلم عنها سوى، قوله وقولهم، الأمور تمام، وعندما أسمع عن عمل ما في سياق هذه المواجهة التي صار الحاج عماد رمزاً لها، يسأل عنه كلّ مَن يملك إرادة حدية للمساهمة فيها، أقول في سرّي بفرح، لقد فعلها عماد، وخلال هذه الفترة كانت بدايات انفتاحه على العمق الفلسطيني الإسلامي، بالإضافة لعلاقاته بشباب فتح الذين كان يعرفهم من تاريخ انضوائه في تشكيلات فتح لسنوات في بيروت، وكانت الباكورة مع الإعداد للانتفاضة الأولى التي لم يخف الشهيد عماد تفرّغه لدعمها، كرسول لخط الإمام، وما تسنّى لي بعدها من مواكبة علاقته العميقة مع الشهيد القيادي الدكتور فتحي الشقاقي مؤسس حركة الجهاد الإسلامي والصديق المشترك بينا.

– في السنعينيات وحتى التحرير عام 2000 صارت لقاءاتنا أصعب بحكم مسؤوليات الحاج عماد في المقاومة، فصارت على حدول أعماله وفقاً لبرامجه، تُعاتبني في كلّ زيارة لطهران ضمن مواعيد مشابهه للقائنا هذا، بأن ينتظرني أحد من قبله في المطار وينولّى تنسيق لقاء مطوّل بينا، ولقاءات بالقيادة الإيرانية، وحوارات مع قادة الحرس الثوري وكبار ضباط أركانه، وتنظيم محاضرات أتحدّث خلالها عن الأوضاع الدولية والإقليمية ومشروع المقاومة، وكذلك أحياناً كثيرة وأنا في الطريق بين بيروت ودمشق أفاجأ بسيارة عابرة تشعل أضواءها بطريقة لافته فأعلم أنه هو، وبرافق معاً بقية الطريق لينحدّث عن الوضعَين السياسي والعسكري والتحليلات للمشهد الدولي والإقليمي، وبستشرف الآفاق والتقديرات، وبصعبي في صورة الوضع العسكري والميداني للمقاومة، وما تطوّره من سلاح نوعي سيغيّر من وجهه الحرب مع الاحتلال، وأذكر أنّ أهمّ ما سمعته منه كان عن الصواريخ الذكية، التي تنهمر على مرحلتين الأولى لدفعها لأعلى فتصير بمستوى نقطه صعف دبابة الميركافا، في المفصل بين جسم الدبابة وبرجها، لينفجر نصف العيون المدمّر عندها وبطيح بالميركافا أسطورة القوة «الإسرائيلية» التي دمّرتها عيوات الحاج عماد الذكية وحوّلتها أسلاء في حرب تموز، وكان بشعف بشرح وبقول عندما بتحقق بالتجارب من فعالية العيوات الذكية سبكون أهمّ هديه لفلسطين أن بصع هذه التقنية بين أيدي المقاومين هناك.

– بعد التحرير وقبل حرب تموز 2006 صار عيوان الحديث، كيف بنتقل تجربة المقاومة لفلسطين، حتى تمّ تحرير غزة في 2005 فكان عيداً بمعنى الكلمة للحاج عماد بعادل عيد التحرير عام 2000، وكانت فلسفة الحاج عماد العسكرية بوطين تقنيات الصواريخ وصناعتها في غزة، متسائلاً لماذا بنقل الصواريخ ولا تفكّر بتصنيعها؟ وكان صاحب القرار باعتماد هذه الوجهة بما بات له من تأثير في قرار حرب الله وإبران وقوى المقاومة الفلسطينية.

– اللقاء الأخير مع الشهيد القائد كان في دمشق قبيل استشهاده بثلاثة شهور، حيث فاجأني كالعادة، وهذه المرّة في بهو أحد الفنادق واضعاً يده على عينَيّ من خلفي سائلاً «هل عرفت مَن؟»، فأجبت بلا تردّد «وهل يخفى القمر»، وتعانقنا وسألت دموعنا فرحاً وشوقاً، وجلسنا ساعات وهو يشرح ما قامت به قيادة المقاومة من قراءة نقدية لتجربة الحرب واستكشاف نقاط الضعف بعيداً عن الزهو بنشوة النصر، وكيف قامت بترميم أخطائها، وماهية الاستعدادات للحرب المقبلة، وأفنس من كلامه، سبتكون حرب تموز نزهة بالقياس للحرب المقبلة، بعدّ لهم جيش الربع مليون، هذه المرّة نحن مَن سبحوض الحرب البرية وسبدخل الجليل، الدعم الإيراني ممنوع وفوق قدرتنا على الاستيعاب، أطال الله بعمر السيد القائد رسم الاستراتيجية إلى القدس وترك لنا التفاصيل، وسماحة السيد برسم وبخطط وعلى صديقك السعيد، وبنسى تم بحتم، والأخوة في الحرس ليل نهار بعملون لتأمين كلّ ما بلزم.

– في نهاية اللقاء لفتَه إلى خطورة تنقّله وضرورة أن بكون أشدّ تحفظاً، فاجأني بعد التفسير العملاني لطريقه بتنقله مبتسماً، ثم ضحك وقال، – ومشهد وجهه بحضر أمامي الآن، – وهو بقول، «أبو عيسى تعبت، صار لي ثلاثين سنة بركض ليل نهار لأرضيه، رب عمل بتسنغلو ليرضى بفكّك بعطيك العافية، رب عملي هو الله، ناطر بتطلع فيي وباحدبي شهيد».

– رحمك الله أيّها القائد ورحم والدك وأخوتك وابنك، أحياء عند ربّكم يُرزقون، ورحم الله شهداء المقاومة، وحمى الله سيد المقاومة سماحة السيد حسن نصرالله والسيد القائد الإمام الخامنئي، وقدّس روح الإمام المؤسّس روح الله الخميني، ونصر مقاومتنا حتى بتحقق وعد النصر في القدس وبحتفل معاً بذكرى الشهداء وبشعل البخور لروح عماد فلسطين.

مداخلة في مؤتمر تكريم الشهيد الحاج عماد مغنية في طهران 15-2-2018

Facebook Twitter +Google Reddit Linkedin Email

al-binaa.com ©2014 Al-Binaa. All Rights Reserved.